العرب
السبت 2020/01/04
السنة 42 العدد 11576

أكاذيب مفيدة للسياسيين مربحة للصحافيين

الأخبار المزيفة ليست المشكلة الجدية التي تعاني منها وسائل التواصل الاجتماعي

قد يعزى جزء من التحولات الواسعة في المشهد السياسي العالمي إلى الأكاذيب المنتشرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، التي شكلت حقبة يصفها الخبراء بأنها "عصر ما بعد الحقيقة" ولكن ماذا لو لم تكن الأخبار المزيفة هي المشكلة الحقيقية؟

وصفة النجاح: قصص مثيرة للجدل

واشنطن - يتوقع الخبراء تصاعد النقاش الدائر حول الأخبار المزيفة مرة أخرى، مع الاستعداد للانتخابات الرئاسية الأميركية المقررة في السنة الحالية وأن يصبح الأمر موضوع الحوارات التي تجادل في كيفية انتشار النفوذ السياسي عبر الإنترنت.

وأصدر رئيس المحكمة العليا الأميركية جون روبرتس، الذي سيكون شخصية محورية في مساعي عزل دونالد ترامب بترؤسه محاكمة الرئيس في مجلس الشيوخ، تحذيرا الثلاثاء من أخطار المعلومات المضللة في عصر الإنترنت.

وكتب روبرتس في رسالة عشية رأس السنة الميلادية "في عصرنا، عندما تستطيع وسائل التواصل الاجتماعي نشر الإشاعات والمعلومات الخاطئة على نطاق واسع وعلى الفور، تصبح حاجة الجمهور لفهم حكومتنا والحماية التي توفرها أكثر أهمية".

ولم يؤكّد روبرتس أن في رسالته إشارة إلى ترامب الذي ينتقده معارضوه لتكراره معلومات مضللة من مصادر يديرها مروجو نظريات المؤامرة والعنصريون.

وفي الأسابيع المقبلة سيصبح روبرتس ثالث رئيس قضاة يرأس محاكمة رئيس أميركي في منصبه، اذ يتناول مجلس الشيوخ المساءلة التي أقرها مجلس النواب ضد ترامب الشهر الماضي.

وقبل أكثر من سنة، أصدر روبرتس بيانا علنيا اعتبر سابقة ، انتقد فيه ترامب الذي زعم تحيز العديد من القضاة الفيدراليين. واعتبر في بيانه إن المحكمة لا تجمع "قضاة أوباما أو قضاة ترامب أو قضاة بوش أو كلينتون"، بل تشمل "مجموعة استثنائية من القضاة المتفانين الذين يبذلون قصارى جهدهم لتحقيق العدل بين الذين يمثلون أمامهم. يجب أن نكون شاكرين لهذا القضاء المستقل".

ورد ترامب الغاضب من أوامر المحكمة التي منعت العديد من سياسات الهجرة التي أراد فرضها في نوفمبر الماضي ، وكتب على تويتر "عذرا أيها المستشار جون روبرتس، لكن لديكم بالفعل 'قضاة أوباما'، ويحملون وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظر المكلفين أمن بلدنا. يرجى منكم درس الأرقام فهي مفزعة. نحن بحاجة إلى الحماية والأمن. وتجعل هذه القرارات بلادنا مكانا غير آمن! هذا الأمريعدّ خطيرا جدا وغير حكيم"! واستهدف رد ترامب القاضي جون تيجار الذي عرقل أمرا أصدره الرئيس بعدم منح اللجوء للمهاجرين الذين يدخلون الولايات المتحدة من المكسيك بطريقة غير مشروعة. وكان أوباما عين تيجار.

ومع الاستعداد للانتخابات الرئاسية الأميركية المقررة اواخر السنة، يتوقع خبراء اتساع النقاش حول الأخبار المزيفة مرة أخرى.

وكانت وزارة الدفاع الأميركية أعلنت أنها بصدد إطلاق مشروع لمحاربة الأخبار الكاذبة وحملات التشويه على شبكة الإنترنت.

والمشروع يهدف إلى "صد هجمات التضليل المعلوماتي واسعة النطاق".

واعتبرت الوزارة أن "الأخبار ومنشورات وسائل التواصل الاجتماعي الكاذبة" تهدد أمن الولايات المتحدة.

وأوضحت أن وكالة مشاريع البحوث المتقدمة، التابعة لوزارة الدفاع ترغب في إعداد برمجيات يمكنها أن تكشف الأخبار الكاذبة وكذلك مقاطع الفيديو والصوت والصور المزيفة على شبكة الإنترنت.

وقالت إنه إذا نجح هذا النظام بعد أربع سنوات من التجارب، فقد تتوسع للكشف عن "المحتوى الخبيث" ومنع الأخبار الكاذبة من استقطاب المجتمع.

ولكن، ماذا لو لم تكن الأخبار المزيفة المشكلة الجدية؟

يسهل أن نعزي التحولات الأوسع في المشهد السياسي إلى الأكاذيب المنتشرة عبر الإنترنت. وهذا يساعد في فهم الحركات الأكثر استقطابا والتي تكتسب زخما واسعا على رغم الأدلة التي تنفي العديد من ادعاءاتها الرئيسية.

> المنافذ الإخبارية أدركت أن بث الانقسام مفيد للأرباح، مما جعل العالم يشهد زيادة كبيرة في تحيز الصحافيين

ووجد العديد من البحوث أن الأخبار المضللة لا تثير مثل هذا التحيز، بل هو عامل متأصل تدعمه القدرة على العثور على آخرين يجتمعون في دعمهم للرأي ذاته عبر الإنترنت. وينتشر بعض الادعاءات الكاذبة عبر الجماعات السياسية المتطرفة ، بطريقة تضمن أنها لن تنتهك أي سياسة تعتمدها وسائل التواصل الاجتماعي. ولأنها تؤدي إلى مثل هذه الاستجابة العاطفية، تنتشر هذه البيانات بسرعة وتحشد دعم عناصر معينة من الطيف السياسي. وأظهر العديد من البحوث دور إثارة المشاعر القوية مثل الفرح أو الخوف في تحقيق انتشار أوسع عبر الإنترنت.

وأطلق الباحثان الدنماركيان فينسنت هندريكس وبيلي هينسِن على هذه العمليات الفكرية المحمومة والمضطربة اسم "عاصفة المعلومات"، نظرا الى الطابع المفاجئ والعاصف الذي يتسم به تدفق المعلومات الاجتماعية.

وعارض الباحثان اعتقادا مفاده أن وجود الأخبار الزائفة على شبكة الإنترنت يعود إلى حماقة البشر وتصرفهم على نحو غير منطقي، وطرحا من خلال الدراسات التي أعداها تصورا بديلا مثيرا للاهتمام . فبدلا من أن يقررا ، بيأس مثلا، أننا نحيا في حقبة قد نصفها بأنها "عصر ما بعد الحقيقة الذي تحكمه قوى غير عقلانية"، ذهبا إلى القول في كتابهما الذي يحمل اسم "عواصف المعلومات"، إن كثيرا من المواقع أو الأمور المتصلة بالعالم الرقمي، من تلك الأكثر إثارة للانقسامات والنزاعات، هي نتاج لعمليات اتخاذ قرار جاءت على نحو عقلاني تماما من جانب الأطراف المعنية بها، وأن هذه المسائل لم تنشأ بسبب الحماقة البشرية، بمقدار ما نبعت من طبيعة البيئات التي وُلِدّت فيها هذه المعلومات.

ووفقا لبحث آخر أعدّته جامعة السوربون الفرنسية عام 2016 "تميزت مقالات صحيفة نيويورك تايمز التي تلقت معظم التعليقات عام 2015 بتطرقها إلى مواضيع مشحونة عاطفيا، وغالبا ما تكون مثيرة للجدل".

وبمرور الوقت، أدركت الوسائل الإخبارية أن بث الانقسام مفيد للأرباح، ما جعل العالم يشهد زيادة في تحيز الصحافيين وفي نسبة الأخبار التي تتناول قضايا معينة من جانب واحد.

ويتماشى مثل هذه النتائج مع إعلان المدير التنفيذي لفيسبوك مارك زوكربيرغ، تأثير الأخبار المزيفة المنشورة على الموقع الذي أسسه، في التصويت الرئاسي عام 2016 والذي أدى إلى فوز دونالد ترامب .

ووجدت دراسة أكاديمية أخرى أن بيانات تصفح الويب التي جمِعت خلال الانتخابات تشير إلى تلقّي المواطن الأميركي بعض المعلومات الخاطئة على وسائل التواصل الاجتماعي أثناء الحملة.

ورجحت بحوث أعدتها جامعة ميشيغان وجامعة فيينا، أن تكون علاقات مستخدم فيسبوك هي التي تقود وجهات نظره السياسية، إذ لا يتابع معظم الناس النقاد السياسيين أو المؤسسات الإخبارية على وسائل التواصل الاجتماعي مباشرة. مع ذلك، تتلقى غالبية المستخدمين هذه البيانات على المنصات التي ينشطون فيها. وأشار زوكربيرغ إلى أن الناخبين يتخذون قرارات بناء على تجربتهم الحية.

صحافي بهيئة ديكور حكومي

كرم نعمة
كاتب عراقي
مقيم في لندن

من قال لا يوجد نموذج "الصحافي الديكور" بين مراسلي البيت الأبيض؟ ذلك أمر غير صحيح.

بإمكان الصحافيين إدراج قائمة طويلة من هذا النوع من الصحافيين الذين عادة ما يكونون مراسلين ثابتين في مقرات الحكومات العربية وناقلي نشاط السياسيين، لكن مثل هذا النوع موجود أيضا بين مراسلي البيت الأبيض في أكثر بلدان العالم ديمقراطية التي تُقدر وتُعلي من شأن الصحافة.

من المفيد هنا وأنا أدافع عن فكرتي أن أعيد استعارة كلام المراسل السابق لصحيفة نيويورك تايمز راسل بيكر بقوله "لا يوجد صحافيون يغطّون البيت الأبيض، بل يوجد صحافيون يغطيهم البيت الأبيض". بينما أعرض لفكرة هاميلتون نولان أحد الكتاب الأميركيين في صحيفة الغارديان البريطانية، عندما يعرض نصيحته الثمينة للصحافيين من أجل ألا يكونوا ديكورا حكوميا.

الوظيفة الصحافية الأكثر شهرة هي أن تكون مراسلا في البيت الأبيض، لكنها هي الأسوأ أيضا في أحسن الأحوال، حسب وصف نولان الذي لا يرى أن الصحافي المخلص سيكسب الكثير من المال مقابل عمله، وأن أهم القصص التي يجتهد لنشرها ستنسى في غالب الأحوال مع الأيام وإن حققت انتشارا في حينها، لذلك عليه أن يكون مستعدا للإحباط واليأس الذي سينتابه لأنه ببساطة صحافي مخلص مع أن مجده اللاحق سيكون حب أناس لن يقابلهم أبدا، وليس مجرد ديكور حكومي تحت تسمية صحافي.

جوهر الصحافة هو القصة التي نصنعها، وكل ما عدى ذلك مجرد بريق زائف، وكلما أسرع الصحافيون إلى فهم هذه الفكرة كلما كان الحال أفضل من أجل الكرامة الشخصية والقيم الصحافية التي يعملون من أجلها، لأن الصحافي يأمل في النهاية أن يكون موضع احترام وكسب ثقة عالم اليوم ومثالا للأجيال القادمة وهو يؤرخ للحقيقة.

موهبة الصحافة حسب تعبير هاميلتون نولان هي الفرصة المتاحة لسرد قصص الأشخاص الذين يتوق الناس لرؤيتهم يغيرون الحياة إلى الأفضل، لهذا يطالب الصحافة بتجنب الكتابة عن الحكومات والهيئات التي تعتقد أن وسائل الإعلام وجدت من أجل أن تهدد قبضتها الصارمة على السلطة، وليس منع التغول والفساد.

لذلك من الأفضل أن ترسل وسائل الإعلام مراسلين لتغطية أحوال المشردين والأناس البائسين، أفضل من المؤتمرات الحكومية للمسؤولين التي لا تقول شيئا مفيدا أكثر من الكلام المراوغ. فمن شأن ذلك أن يوفر على الأقل الأمل في الحصول على نظرة ثاقبة حول ما يحدث في البلاد.

> الصحافي المخلص لا يكسب الكثير من المال مقابل عمله، وأهم القصص التي يجتهد لنشرها ستنسى في غالب الأحوال مع الأيام وإن حققت انتشارا في حينها، لذلك عليه أن يكون مستعدا للإحباط واليأس الذي سينتابه

وليس ممارسة دور الناقل لما يعلنه مسؤول حكومي لا يدفع غير ضريبة الكلام المجرد.

توجد في الصحافة اليوم، لسوء الحظ، فجوة واضحة بين أولئك الذين يرون أنها وجدت مثلما توجد وظيفة الممرض الحريص على صحة الناس ورجل الإطفاء الذي لا يفكر بأي ثناء وثمن وهو يجازف من أجل إطفاء النيران وإنقاذ الناس، وأولئك الذين يرون في الصحافة مهنة استعراضية تنتظر التصفيق قد تمكنهم من التقاط الصور مع أشخاص مهمين والحصول على صفقة كتاب في يوم من الأيام.

سيخبرك الصحافيون المخلصون بما يريدون الكتابة عنه، بينما سيخبرك الآخرون بمكان عملهم وأناقته وبهرجته. هذا الأخير، للأسف، هو الشائع اليوم. مع ذلك إن العالم مليء بالكتاب والمراسلين الممتازين الذين لم يحصلوا على فرصتهم من أجل إجلاء الغبار عن الحقيقة.

يعتقد هاميلتون نولان أن الصحافيين الحقيقيين لديهم الفطرة السليمة الكافية لمعرفة أن الأشخاص المسؤولين يكسبون المزيد من المال ولديهم المزيد من القوة ولكن من الواضح أنهم ليسوا أكثر ذكاء. هذا لا يمكن أن يستمر إلى الأبد.

ويعترف خلال تجربته في العمل على مدار أكثر من عقد في الصحافة الأميركية بوجود عيوب في الصحافة تسبب الغثيان للجمهور، عندما تنشر بشكل مستمر الأكاذيب والمبالغة والأخطاء.

مع ذلك لا يبدو هذا الصحافي متشائما أكثر مما ينبغي لأنه يشجع من يرون في أنفسهم بذرة صحافي فعليهم أن يتمسكوا بها، في خضم هذا التنافر المعرفي، حيث تقوم اليوم مؤسسات إعلامية كبرى بدعم من رؤوس الأموال الكبيرة والحكومات بتحطيم العالم بدلا من إصلاحه.